علم الاجتماع وقضايا الوطن العربي

المحاضرة الأولى: إشكالية نقل وزرع السوسيولوجيا في الوطن العربي

د.ثياقة الصديق
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا
فاتحي عبد النبي
جامعة أحمد در ا رية أدر ار–

1ظروف انتقاله ونشأته في العالم العربي- :

إن ظروف نشأة علم الاجتماع في الغرب بالطبع هي ليست نفسها ظروف ولادته في البلاد العربية، فالعالم العربي مشرقه ومغربه لم يعرف الثورة الصناعية أو التكنولوجية ولا تراكمية علمية أفضت إلى ثورة تكنولوجية مثلما حدث في الغرب، ولن أكن مبالغا في القول إذا قلت حتى اليوم وبعد مرور قرنين من اتصاله بالغرب وتعرفه على-منجزاته الحديثة لم يستطع أن يستوعب منجزاته التقنية، ويواكب تقدمه الحضاري ،- واذا كان السؤال المحير الذي طرحه شكيب أرسلان في نهاية القرن التاسع عشر" لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟"، فإنه لم يلق الإجابة عليه حتى اليوم .والحقيقة

أن العالم العربي مشرقه ومغربه قد تعرف على الحضارة الغربية ومنجزاتها مبكرا مع الاستعمار منذ منتصف القرن التاسع عشر، ذلك الحدث التاريخي الذي يمكن أن ينظر إليه من جهة أخرى بأنه احتكاك حضاري تم بين الغرب الصناعي والشرق الزراعي، وبذلك أطلع على الكثير من علومه كما أسلفنا الذكر ومنها علم الاجتماع.وطبيعيا أن يتأثر العالم العربي بثقافة الاستعمار سواء الانجليزي منه أو الفرنسي أو غيره، بعد أن كان خاضعا له وتحت وصايته على ما يربو قرن من الزمان أو أكثر تقريبا حسب كل بلد، فالثقافة العربية الحديثة في الإطار المكاني أو الإقليمي ارتبطت بثقافة المستعمر في مجالات عديدة، وهذا بدوره أثر في البيئة الاجتماعية للمجتمعات العربية .وفي هذا الإطار أيضا يمكن النظر إلى الأقاليم العربية كمنطقة ثقافية تضم بداخلها قسمين كبيرين متمايزين وكل قسم ارتبط بثقافة غربية، فالفكر الاجتماعي

والمع رفة العلمية لدى دول المشرق العربي ترتبط إلى حد كبير بثقافة المستعمر الإنجليزي، في حين ارتبط مجتمع شمال أفريقيا بشكل كبير بثقافة المستعمر الفرنسي، وهذا الارتباط ساهم في التلاقح والتبادل الحضاري بين الثقافة المحلية وثقافة المستعمر واستمر الحال عليه إلى مرحلة الاستقلال، بحضور ثقافة المستعمر إلى جانب الثقافة
المحلية، والتي تبنتها الدولة الجديدة في إطار تحديث المجتمع، وبالتالي ظهر مركب ثقافي يتصف بازدواجية التفكير واللغة والثقافة، أو مايسمى بالثنائية على كافة Iالمستويات والأصعدة وحتى النخب .كما تجلى ذلك في الخطط التنموية والمشاريع
الكبرى المتعلقة بالتنمية لتلك المجتمعات، فالفكر السوسيولوجي في البلاد العربية ليس أحادي المنبع. ومنه" يبدو أن هذا النمط الثقافي وما ترتب عنه من ممارسات سوسيولوجية يمثل استجابة لافتقار الثقافة المحلية إلى نظريات واضحة المعالم ومناهج علمية تمكن من حل المشكلات المتجذرة والتي تعاني منها المجتمعات العربية وتحقق طموحاتها، كل ذلك أدى إلى استي ا رد حلول جاهزة بتبني نظريات ومناهج من ثقافات أخرى طبقت في الغالب وبوسائل وتقنيات ثقافة المستعمر .6 "وفي هذا السياق التاريخي وعلى المستوى الأيديولوجي، بقيت السوسيولوجية في البلدان العربية على قلتها رهينة- - لتوجهات التنموية والأيديولوجية للدولة الوطنية والمرتبطة أما بالتوجه الاشتراكي أو الراسمالي، توجهات نتج عنها نوعين اثنين من علم الاجتماع :علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي ولكل نوع منهما منطلقاته الفكرية والإيديولوجية،فالأول كان هدفه الحفاظ على النظام القائم مع محاولة خلق ميكانيزمات التوازن في هذا النظام، أما الاتجاه الثاني والذي يعتبر مضاد للأول وهو علم الاجتماع الاشتراكي الغرض منه حل المشكلة الاجتماعية بطريقةراديكالية، بمعنى تغييرالمجتمع الرأ سمالي وتحويله إلى مجتمع اشتراكي لحل مشكلة التناقض الرئيسي بين رأس المال والعمل .) 7 (وقد ساد علم الاجتماع الاشتراكي في معظم البلدان العربية كون ذلك صاحب عملية التحرر من الاستعمار، حيث أتبعت العديد منها التوجه الاشتراكي وذلك استكمالا للتحرر الذي ترى في اختياره نهجاَ مخالفاَ للاستعمار، لأن معظم الدول الاستعمارية كانت ذات توجه أ رسمالي، وذلك ما سمي بالمرحلة المضادة كنقيض لمرحلة الاستعمار. ومن بين علماء الاجتماع العرب الذين تبنوا منطلقاته الفكرية، هشام ش ا ربي في دراسته المجتمع العربي، حيث تبنى النظرية الجدلية الماركسية في تحليل البحوث الاجتماعية، ومنهم من حاول تفسير الفكر العربي تفسيرا ماديا تاريخيا(محمود أمين)، وسمير نعيم، ومنهم من حاول دراسة التراث دراسة مادية تاريخية مثل حسن مروة، ومنهم من طبق الماركسية كمنطق ضمني

في أبحاث اجتماعية جديدة وجدية حول ماضينا وحاضرنا، مثل عبد الله العروي (. 8

3علم الاجتماع في الوطن العربي من الوثبة إلى النكبة-

3 2البدايات وتكوّن الرعيل الأول :قلنا سابقا إن العالم العربي تعرف على منتجات- الثقافة الغربية ومجالاتها العلمية مبكرارا ومنها علم الاجتماع، كان ذلك في الجامعات الغربية، ففي عام 1913 ناقش منصور فهمي أطروحة الدكتوراه حول وضعية المراة في الإسلام تحت اشراف الدروكايمي **لفي بريل**(1857-1939) - Lucien Lévy-Bruhl وفي عام 1918 ناقش **طه حسين** أطروحة الدكتوراه الجامعة حول " الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون "وكان قد أعدها تحت أش ا رف اميل دوركايم) E. Durkheim (نفسه) 9 (، مؤسس المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع وناقشها سنة 1918 بعد وفاة هذا الأخير سنة 1917 ، تحت إش ا رف تلميذه silicetain B **سليستان بوقلي** (1870-1940 .)يقول الباحث **جمال الدين غريد،** لهذين الحدثين دلالتين اثنتين:

الأولى أن العالم العربي تعرف على السوسيولوجيا في فترة مبكرة، ففي الوقت الذي كان فيه منصور فهمي وطه حسين يعدان أطروحاتهما كان الآباء المؤسسون لعلم الاجتماع جميعا على قيد الحياة، بل كانوا في أوج عطائهم .ففي هذه الفترة كانوا قد نشروا أو بصدد نشر أمهات أعمالهم المميزة، فـ**دوركايم** كان قد نشرمؤلفه" الأشكال الأولية للحياة الدينية "سنة 1912 ، و**فالفريدباريتو** f.Barito عمله المركزي "المدخل لعلم الاجتماع "سنة 1916 ، أما فيبر) M. Weber (الذي شرع في تحرير كتابه الأساسي" الاقتصاد والمجتمع "سنة 1909 ، ثم توفي 1920 ، قبل صدوره الذي . لم يتم إلا سنة 1922.

الثانية إن التعرف بالسوسيولوجيا كان في الوقت ذاته تعرفا بابن خلدون، الذي يرجع له الفضل في اكتشافه إلى أوربا ورده إلى أهله وثقافته(. 10 (نستنتج إذا من هذين الحدثين نتائج كثيرة، تعرف العرب إذا مبك ا ر على السوسيولوجية الدوركايمية، وتعرفوا عليها بصفة مباشرة، فتكون جلهم في الجامعة الفرنسية على أيدي المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع من الدوركايميين، أعدوا الأطروحات تحت إش رافهم وترجموا بعض أعمالهم، وأسسوا فرعا لتدريس السوسيولوجيا في الجامعة

المصرية وذلك منذ سنة 1925 ، فكانت الهيمنة الدوركايمية تكاد تكون مطلقة على الرعيل الأول من السوسولوجيين العرب وخصوصا المصريين منهم، وهكذا فقد أشرف **لفي بريل)** Lévy-Bruhl (على أطروحة **منصور فهمي** أول متحصل على دكتو ا ره دولة في علم الاجتماع، وأشرف **فوكوني voconi** على عمل **عبد الواحد وافي** أول أستاذ كرسي في علم الاجتماع وعلى دبلوم **علي عبد الواحد عبد**

العزيز عزت حول موضوع ":علم الاجتماع عند ابن خلدون ودوركايم"سنة 1937 ، وأشرف **علي عبد الواحد وافي،** والذي يعتبر نفسه دوركايميا على أول دكتو ا ره مصرية في علم الاجتماع أعدها **مصطفى الخشاب** سنة 1949 ، وفي سنة 1950 نقل **محمود قاسم** إلى العربية كتاب" قواعد المنهج في علم الاجتماع لدوركايم(. 11 (" ولم يقتصر التكوين المصري على المدرسة الفرنسية الدوركايمية بل تعداه إلى المدرسة البريطانية والأمريكية، وخصوصا في الأنثروبولوجيا وفروعها الحديثة، مثلما هو الحال مع أب الأنثروبولوجيا العربية **أحمد مصطفى أبوزيد** الذي درس عند **إيفانز بريتشارد)** Evans-Pritchard (في الجامعة البريطانية .ولهذا الحدث لا يقل شأن عن الحدثين السابقي الذكر من ناحية الأهمية، فقد تعرف العرب على الأنثروبولوجيا في م ا رحلها الأولى من التشكل، أي في الوقت الذي بدأت تشق فيها طريقها العلمي، إذ كان العلماء العرب يتكوّنون على أيدي مؤسسي ذلك العلم الجديد، يتقدمهم العالم الأنثروبولوجي المشهور، الدكتور أحمد مصطفى أبو زيد(ولد 1 3مايو1921هو أحد رواد علماء "الأنثروبولوجيا "العرب، والذي لُقب ب"شيخ الأنثروبولوجيين العرب"،كان قد تلقى تعليمه بجامعتي الإسكندرية وأوكسفورد، أحمد مصطفى أبوزيد- درس عند **إيفانز بريتشارد**) Evans-Pritchard حصل على ليسانس في الآداب- (فلسفة وعلم الاجتماع)من جامعة الإسكندرية1944 ، ثم على درجة الدكتو ا ره في الانثروبولوجيا من جامعة أكسفورد 1956 ، وهو الفائز بجائزة النيل للعلوم الاجتماعية لعام 2011 ، وخبير سابق في مكتب العمل الدولي بالأمم المتحدة، وأستاذ ا زئر في الجامعات العربية والدولية، ومستشار سابق لمجلة" عالم الفكر " الكويتية، ومقرر لجنة الد ا رسات الاجتماعية في المجلس الأعلى للثقافة في مصر .عمل أستاذا للأنثروبولوجيا وخبي ا ر بمكتب العمل الدولي بجنيف، أثرى المكتبة العربية بعش ا رت
المقالات الموزعة في الدوريات، من مؤلفاته كتاب"المفهومات "وكتاب" الأنساق" و"المعرفة وصناعة المستقبل ."عمل أستاذ أنثروبولوجيا متفرغ بكلية الآداب جامعة .الإسكندرية إلى وفاته سنة 2013.
وفي العراق نجد علي الوردي) 12 (والذي يعتبر من أوائل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا في العالم العربي، فبعد أن أكمل د ا رسته الثانوية وتحصل على درجة البكالوريوس سنة 1936 ، أرسلته الحكومة العرا قية للد ا رسة في الجامعة الأمريكية في بيروت وحصل على درجة الماجيستير عام 1943 ، وفي عام 1948 أرسلته الحكومة العراقية ثانيةلاستكمال د ا رسته العليا في تكساس الأمريكية وحصل على شهادة الدكتور اره في علم الاجتماع سنة 1950، وعاد إلى العر اق سنة 1952 وعُ ين في قسم علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة بغدادا،

وقد كتب الوردي خلال عمله بالجامعة وفي مرحلة التقاعد ثمانية عشر كتابا ومئات البحوث والمقالات .وقد اتسمت كتبه ومقالاته التي صدرت بعد ثورة 14 تموز/يوليو 1958 في الع ا رق، وفي مقدمتها: ،" ("د ا رسة في طبيعة المجتمع الع ا رقي (1956") ،" ومنطق أبن خلدون(القاهرة 1962 و"لمحات اجتماعية من تاريخ الع ا رق الحديث"، وقد صدر الكتاب في ثمانية أج ا زء ما () بين سنتي (1969-1979(. 13 ولم يقتصر انتقال علم الاجتماع الى العرب عن طريق الد ا رسة والتكوين المباشر على أيدي المؤسسين لهذا العلم الجديد، بل استقدمت بعض الجامعات العربية لثلة من أولئك العلماء المؤسسين لفتح فروع لعلم الاجتماع بتلك الجامعات والتدريس فيها أمثال ا رد كليف بروان R.Braoin ، و**ايفانزبريتشارد**. Evans-Pritchard

1 1المسيرة وتكوّن الرعيل الثاني:أما الرعيل الثاني فمنهم من تكوّن في الجامعات- العربية، ومنهم من تكوّن في الجامعات الغربية، ولهم صيت مشرقا ومغربا أمثال سعد الدين إب ا رهيم، وحليم بركات(المجتمع العربي :بحث اجتماعي استطلاعي)، محمد الجوهري وغيرهم. أما حالة المغرب العربي فلم يتعرف على السوسيولوجيا مبك ا ر مثله مثل المشرق
العربي بالرغم من تشابه في الطريقة، وهو الاستعمار، وبالتالي لم يعرف رعيلين من السوسويولوجيين مثلما هو الحال عليه في المشرق، رعيل تكون في الجامعات الغربية ورعيل ثاني بعده في الجامعات المحلية، فلم يظهر في بلدان المغرب العربي إلا الرعيل الثاني .ففي الج ا زئر مثلا، نجد أن السوسيولوجيا كممارسة ج ا زئرية لم تأت إلا في مرحلة جد متأخرة، صحيح أن الفرنسيين من ضباط وموظفين ورجال كنيسة قد قاموا منذ بداية الاحتلال بد ا رسات كثيرة، وأكثر من ذلك ان السلطات الفرنسية- كانت قد أمرت بأج ا رء بحث شامل، ربما على غرار ما جرى في مصر أثناء الحملة النابليونية، وبغض النظر عن مرامي هذه الأبحاث وأهدافها فهي تمثل اليوم رصيدا هاما من المعطيات والمعلومات التي لا غنى عنها لفهم حقبة حاسمة في تاريخ مجتمعنا. ولم تنتقل السوسيولوجيا للجزا ئريين إلا بعد عدة سنوات بعد الاستقلال، لما بدأت تتشكل الكوكبة الأولى من السوسيولوجيين المغاربة، ويرجع غيابها أثناء الحقبة الاستعمارية إلى عدة أسباب أهمها الاستعمار نفسه، فلم يكن هذا العلم محل تدريس لا في المعاهد العليا التي تأسست سنة 1879 ولا في الجامعة التي برزت إلى الوجود سنة 1909 ، لتظهر كوكبة من السوسيولوجيين الفرنسين بالجزائر، أمثال بيير بورديو P.) Bourdieu)،وكلودين شولي) Claudine Chaulet (، وج ا زئريين مثل صياد عبد المالك وعبد القادر جغلول، ثم علي الكنز وجيلالي يابس ومحمد بوخبزة، نذير معروف، عدي الهواري، مصطفى بوشنتوفت، محفوظ بنون،....الخ. وفي تونس

بدأت أبحاث فرنسية ثم تواصلت أبحاث محلية، مثل د ا رسة فالونسي (LucetteValensi) حول الأقليات المشاغبة والأقليات الصامتة، أما الأبحاث المحلية فقد أشتهر كل من سالم لبيض ود ا رسته حول القبيلة، ومحمد الهادي الجويلي ود ا رسته حول الزعيم السياسي .أما في المغرب نجد عبد الكريم الخطيبي، ومحمد عابد الجابري، وعبد الله العروي في نقده للانقسامية، وعبد الله الحمودي، الذي من أهم إنتاجاته العلمية :حكاية حج في مكة،(الضحية وأقنعتها بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب)، زكية زوانات التي بحثت في مجال التصوف(مملكة الأولياء، أبن مشيش شيخ الشاذلية)، ورحال بوبريك الذي يبحث في المجال الديني، عبد الباقي الهرماسي، والمختار الهراس. غير أن هذه المسيرة التطورية الطويلة للسوسيولوجية العربية تحمل بكل تأكيد كل السمات لحركة وصلت في نهاية المطاف إلى أبعاد آخر العلوم الاجتماعية عن نزعتها الأصلية، وفي حالة المجتمع الجزائري وشأنه في ذلك بدون شك شأن جميع المجتمعات العربية المغلوبة على أمرها أو المستعمرة سابقا، فإن حصيلة السوسيولوجيا تبدو أكثر وضوحا إذ يتعلق الأمر بسوسيولوجيا لم تتمكن أبدا من استرداد نزعتها النقدية....أي سوسيولوجيا لم تظهر قط إلى الوجود .) 14 (وبكلام آخر وأكثر وضوحا، سوسيولوجية مرتبكة أذا صح التعبير.

3سوسيولوجية عربية مرتبكة، أو سوسيولوجية الارتباك- :

بالرغم من هذه الدر اسات والبحوث والتي كانت أقرب إلى صميم المجتمع العربي فإن حالة عدم الرضى لدى معظم السوسيولوجيين العرب على مجهوداتهم، فمنذ منتصف القرن الماضي بدأت تظهر في الساحة الفكرية العربية جملة من الطروحات النقدية للمسار العربي تبلور فشل الاتجاهات السائدة في تبيين العلاقة الجدلية القائمة بين الفكر الاجتماعي والبنية الاجتماعية التي انتجته، وبالتالي صورة هذه الإشكالية في شكل غياب كلي لعلم اجتماع عربي، أو في انحياز علماء الاجتماع إلى النظريات الغربية التي انبثقت وتطورت وتشكلت في ظروف تاريخية واجتماعية مخالفة لظروفنا(. 15 (من هنا بدأت تظهر محاولات فكرية واجتماعية تطالب بتجاوز مرحلة تقليد العلوم الاجتماعية الغربية والتخلص من مسلمات علم الاجتماع الغربي القائم على مواقف قيمية خاصة، وينطلق أصحاب هذا الاتجاه من التساؤلات التالية :هل إن علم الاجتماع من العلوم العالمية عامة تخص جميع المجتمعات البشرية المتقدمة منها - والغير المتقدمة؟، أم أن هناك علم الاجتماع ذو هوية عربية؟ وما هي إنجا زات علم الاجتماع الغربي في المجتمعات العربية؟، وهل المفاهيم الرئيسية للنظرية الغربية كمفهوم الدولة والإرهاب) 16 (،

تصلح للتطبيق على واقع مجتمعنا العربي؟ .وتعالت الأصوات منادية بعلم اجتماع عربي، ومبرر ات ذلك تتركز في النقاط التالية:
أ خصوصيات ومشكلات العالم العربي وقصور النظريات الغربية عن فهم واقعنا الاجتماعي لأن تلك النظريات التحليلية صنعت لعالم غير عالمنا ولا تحمل صلة لواقعنا الاجتماعي.
ب إن علم الاجتماع الغربي أستلهم نظرياته من المواقف الاجتماعية والوقائع- الاجتماعية للمجتمع الغربي فضلا عن الايديولوجية والمعرفة والإطار الفكري للعلاقات الاجتماعية السائدة، لذا كان من الأجدر الانطلاق من التر اث العربي لاستلهام النظرية التي تبدأ منها أول الخطوات نحو علم اجتماع عربي.
ج تستمد المفاهيم الاجتماعية من التراث الغربي وتختبر على واقعنا الاجتماعي في- الماضي والحاضر.
ويبدو" أن صورة علم الاجتماع العربي ماا زالت تتصف بالضبابية وغير واضحة المعالم، بل إنها تتخذ أحيانا شكل الانفعال العاطفي الذي قد يؤدي إلى الانتحار أو الهاوية .من ثمة فالمفاهيم الغربية والنظريات العلمية لا تمثل كتلة معينة أو منطقة دون أخرى، بل تمثل الثقافة العالمية والت ا رث البشري، فلا يتحقق علم اجتماع عربي بالرفض الكامل والشامل والقطيعة الكلية مع الإنجاز ات العلمية والعالمية " . 17 وقد انتظمت ملتقيات وندوات دولية لعلماء الاجتماع العرب وطنية ودولية، للوقوف وقفة تقييمية على طبيعة عملهم،" فهذه الوضعية المزرية لهي محل الانشغال الأول لعلماء الاجتماع العرب جميعهم، فلا تكاد تحصى الملتقيات التي يتدارس فيها هؤلاء العلماء ويتناقشون أسباب ما أصطلح على تسميته بالأزمة، إلا إذا أخذنا على سبيل المثال النصف الأول من الثمانينات حيث لاحظنا انتظام العديد من الملتقيات العربية بغرض تحليل هذه المسألة بداية من ملتقى القاهرة(28/26 فبراير 1983 المعنون بإشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ثم ملتقى الكويت علم الاجتماع وقضايا الانسان العربي المعاصر.11/8 ابريل 1984) ، ثم العلوم الاجتماعية اليوم وهران 26-28 ماي 1984. ، وبعده مؤتمر"نحو علم اجتماع- (" -عربي"،(تونس 25-28 يناير1985 .ثم ملتقى وه ا رن ثانية، يوم ال ا ربع والخامس والسادس من شهر ماي2002، وقد عقدت كل هذه الملتقيات والمحافل العلمية، بغرض السماح لعلماء الاجتماع العرب بمعالجة محددات وتداعيات وضعية علمهم. وفي الواقع لم يفعل هؤلاء العلماء شيئا آخر سوى محاولة الارتباط مجددا بالتقليد السوسيولوجي الأول الذي كان من صنع المؤسسين أنفسهم(دروكايم ، فيبر، باريتو) أي بممارسة السوسيولولجيا كعلم نقدي لذاته 19 (.)وما كثرة هذه الملتقيات إلا دليل على الأزمة التي يعيشها علمهم، يشبهه(علم الاجتماع العربي)عالم الاجتماع الج ا زئري **جمال الدين غريد** بالشخص المصاب

بمرض غريب استعصى تشخيصه، وذلك بقوله ":وقد وقف علماء الاجتماع العرب مطولا على سرير المصاب بمرض نادر استعصى تشخيصه واستلزم التشاور المكثف حوله، وهكذا فقد تعددت التشخيصات وتنوعت، فمنهم من يرد الأسباب إلى الخارج(الهيمنة الامبريالية)ومنهم من يعزوها الى الداخل(التخلف الأنظمة التسلطية واللا ديمقر اطية)ومنهم من يعزوها إلى علماء الاجتماع أنفسهم(مواقفهم من الطبقة البعيدة عن هموم واهتمامات الجماهير الشعبية . 20 ")
والى جانب هذا النقد الذاتي الموجه لعلماء الاجتماع ببعضهم" فهو يرى تارة أن علماء الاجتماع العرب في معظمهم مصابون بالازدواجية والاستلاب، فهم يهتمون بالفكر الغربي أكثر مما يهتمون بمجتمعاتهم، فهم يعيشون بأجسامهم في الشرق وبعقولهم في الغرب، ويضيف البعض بأن السبب يكمن أيضا في الابتعاد عن الإسلام ومقوماته الثقافية والاجتماعية، وهو يرى تارة أخرى أنهم مصابون بكسل مزمن فيكتفون باستيراد الأفكار السوسيولوجية الجاهزة عوض بذل الجهود تلو الجهود
للتصدي العلمي الرزين لمجتمعاتهم قصد إنتاج معارف مقنعة حولها21 ". لكن وبالرغم من ذلك، فلا ا زلت هناك مجهودات بحثية لعلماء اجتماع عربي نابع من صميم المجتمع العربي، ولم تقتصر على الإبداع في الجانب النظري، بل تجاوز ذلك
إلى محاولات جادة لاستلهام تقنيات البحث الميداني من المدرسة البريطانية 22 .غير أن تباينها كان أكثر من توافقها مما يجعلها مشتتة وغير مؤثرة، فمنه من حاول إعادة تفسير التراث باستعمال أدوات معرفية حديثة، على سبيل المثال : محمد عابد الجابري ومحمد أركون، وحسن حنفي، ونصر حامد أبوزيد، وفهمي جدعان .ومنهم من حاول تطبيق المنهج المادي للتاريخ، أو أفكار النزعة التاريخية، مثل عبد الله العروي وسمير أمين، وحسن مروة، ومنهم من أستلهم المناهج الحديثة في العلوم الاجتماعية في فهم التر اث مثل علي الوردي، وهشام ش ا ربي وسعد الدين إبر اهيم، ومحمد جابر
الأنصاري .ثم إن أولئك الباحثين الاجتماعيين العرب ودر استهم، بالرغم من التراكمات البحثية لديهم، لم يشكلوا مدرسة خاصة بهم ونابعة من صميم المجتمع العربي، أو نظري أو اتجاه بحثي يكون مرجعا وسند يعول عليه في كل بحث اجتماعي مستقبلي في المجتمع العربي .فهل هذا يرجع الى علماء الاجتماع أنفسهم، أم إلى زبائنهم (الدولة والمجتمع)، الذين لا يأخذون بعلمهم ولا يطلب أ ريهم بالرغم من المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع، ولعلنا نجد الإجابة في سؤال سعد الدين إبر ا هيم(عالم اجتماع مصري معاصر ":)ماذا يحدث للمجتمع العربي إذ اختفى علماء الاجتماع فجأة من العالم العربي؟"،ثم يجيب هو بنفسه "بالطبع لا

يحدث شيئا للمجتمع العربي لا بالسلب ولا بالإيجاب، إذا اختفى علماء الاجتماع فجأة من العالم العربي ."وهنا يصدق قول المرحوم **جمال الدين غريد** "أن السوسيولوجيا كانت في البدء وما ا زلت في المجتمعات الغربية كالسمكة في الماء، أما في ماسواها فهي عبارة استير ا د وأقلمة أو وزرع "ويبقى لكل مجتهد مصاب.

الهوامش:

1 جمال الدين غريد، عالم الاجتماع والأنثروبولوجية جامعة وه ا رن، لديه ما يقارب 45 سنة تدريس في الجامعة الجزائرية، ومؤلفات عديدة، توفي رحمة الله عليه، يوم 24 2013 بوهران.

2 جمال الدين غريد، الزرع الإشكالي للسوسيولوجية في العالم العربي حالتا مصر والج ا زئر، وقائع ملتقى علم الاجتماع والمجتمع في الج ا زئر، دار القصبة للنشر،

.الج ا زئر،2004 ، ص الج ا زئر، المرجع السابق، ص 70

3. -HOBSBAWAM E., 1érre des révolutions, paris, Fayard, 1969.p.10.

4. –Selon M. Mauss, Essais de sociologie, Ed. de Minuit, 1968 et 1969, Paris, p.68.-4

5 سيف الإسلام شوية، السوسيولوجية في المجتمعات العربية المعاصرة بين الطروحات الغربية ومحاولات تشكيل خصوصية فكرية واجتماعية، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر، علم الاجتماع والمجتمع في الج ا زئر، تنسيق عبد القادر . لقجع، دار القصبة، الجز ائر 2004 ، ص 45

. 6.سيف الإسلام شوية، نفسه، ص 46

.7 نفسه، ص 47

.8 . نفسه، ص 48

9 يكتب طه حسين في مذك ا رته أنه هو الذي بادر بالاتصال بدوركايم بعد إن سمع دروسه في علم الاجتماع "وشغف به أي شغف "ويذكر أيضا أنه وقبل مناقشة الدكتو ا ره أختار موضوعين أثنين أحدهما علم الاجتماع كما يتصوره أوغيست

كونت، مذك ا رت طه حسين، بيروت، دار الآداب، بدون تاريخ، ص 193. ، نقلا .عن جمال الدين غريد المرجع السابق، ص68

10 جمال الدين غريد، إشكالية الزرع السوسيولوجي في المجتمع العربي، علم . الاجتماع والمجتمع في الج ا زئر، المرجع السابق، ص69

.11 . نفسه،ص 69

.12 وُلد علي الوردي في الكاظمية في الع ا رق، في أسرة فقيرة ولكنها مرموقة في مجال العلم والأدب والشعر والتجارة، بدأ تعليمه الابتدائية ببلدته، ثم واصل تعليمه الثانوي الى ان تحصل على درجة البكالوريوس سنة1936 ، وقبل ذلك بسنة1935) ، بدأ بكتابة مقاتلاته الأدبية في بعض الصحف والمجلات البغدادية.
13 علي الوردي" سيرورة حياة"، مجلة أضافات، العدد السادس عشر، 2011 ،ص
.ص 13-12
.14 لقجع عبد القادر، تعريب جمال الدين غريد، علم الاجتماع والمجتمع في .الج ا زئر، مرجع سبق ذكره، ص 11
15 سيف الإسلام شوية، السوسيولوجية في المجتمعات العربية المعاصرة بين الطروحات الغربية ومحاولات تشكيل خصوصية فكرية واجتماعية، علم الاجتماع والمجتمع في الج ا زئر، المرجع السابق، ص47.
.16 مثلا قام أيليا رزيق(باحث أمريكي من أصل عربي)بد ا رسة عن طبيعة الدولة في المجتمع العربي وهي د ا رسة تبين ان المقولات الغربية لا تنطبق على عالمنا العربي لأن الدولة في المجتمع العربي كان لها مواصفات مختلفة عن الدولة في المجتمع الغربي، انظر سهير لطفي وآخرون :إشكالية العلوم الاجتماعية في ، الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، عدد، جامعة الدول العربية، تونس،1982 . ص141
.17 . سيف الإسلام ش وية، المرجع السابق، ص47
.18 .جمال الدين غريد مرجع سبق ذكره، ص 77
.19 . عبد القادر لقجع، المرجع السابق،10
20 .جمال الدين غريد، المرجع السابق، ص77
.21 . نفسه، ص78
.22 . نفسه، ص 51__

المحاضرة الثانية

هل يوجد علم اجتماع عربي؟
ما هي أهم صعوباته؟
ما هي أهم مستلزماته؟

د. عبد الحكيم شباط مجلة العلوم الإجتماعية 2012-04-26

تمهيد

يعتقد بعض الرومنسيين من أساتذة علم الاجتماع في عالمنا العربي اليوم أن كل من كتب في علم الاجتماع ومشاهيره ونظرياته واتجاهاته، أو كل من درّس ذلك في الجامعات أصبح عالم اجتماع. وإذا كان أي باحث اجتماعي عربي موضوعي لا يجرؤ على أن يزعم أنه يوجد اليوم علم اجتماع عربي، فإن المرء يتسائل حائرًا: هل يعتقد بعض أساتذة علم الاجتماع في العالم العربي أنهم علماء في علم الاجتماع الفرنسي أو الألماني أو الأمريكي مثلاً؟! وإذا جاء أحد هؤلاء الحالمين ليزعم أنه يوجد علم اجتماع عربي، فإننا ببساطة سوف نطلب منه أن يذكر لنا: بعض النظريات التي أنتجها علم الاجتماع العربي، والمشاكل التي استطاع أن يعالجها، والفروض التي يعمل على تطويرها. ونحن نزعم بدورنا أن الإجابة – غالباً- سوف تكون: صفراً مكعباً!

في تحليل أجري بمصر لرسائل الدكتوراه والماجستير في تخصص علم الاجتماع لـ 131 أطروحة حتى عام 1974، تبين أن منها فقط أطروحتين بحثتا إمكانية تشكيل نظرية علمية لعلم الاجتماع العربي، الأولى على أساس وظيفي، والثانية على أساس المادية التاريخية، في حين جاء الاهتمام بالمسائل المنهجية والأساليب الفنية في البحث بنسبة 3.2 % فقط. أما معظم الرسائل المتبقية فقد جاءت خليطاً بين التوليف والنقل والتناول لمسائل اجتماعية جزئية. (...) وورد في تقرير حول الأبحاث السوسيولوجية في دولة العراق أن معظم الدراسات التي أنجزت حتى 1970 كانت قصيرة، وجزئية، ولم ينشر معظمها. (...) أما في دولة الجزائر فقد أشار تقرير حول وضع البحث السوسيولوجي إلى أن الدراسات الجادة حول الأوضاع الاجتماعية في الجزائر لاتزال نادرة، ومحدودة. (...) وحول الدراسات السوسيولوجية التي تصدر في سوريا ولبنان والأردن والجزائر والمغرب والعراق ومصر ورد في نفس البحث الذي أعده أحد أساتذة علم الاجتماع، عام 1981، أن معظم هذه الدراسات قد غلب عليها طابع التأليف المدرسي المعتمد على النقل والترجمة والتركيز حول مشكلات جزئية، أو نظام اجتماعي محدود كالأسرة

والتعليم (...)، لذلك فإن البحث السوسيولوجي في الوطن العربي بصفة عامة "يعاني من مأزق منهجي يرتبط مباشرة بأنماط التوجه النظري، وبنوعية الموضوعات الجزئية المحدودة التي يتناولها (...)". وعلى الرغم من أن البحث الاجتماعي يأخذ اليوم في دول الخليج العربي عموماً حيزاً كبيراً من الاهتمام ويعد بنتائج طيبة وآمال مرجوة إلا أننا لا نستطيع الزعم بعد بأننا بتنا قادرين على بناء نظرياتنا ومناهجنا الخاصة في هذا المضمار.

وفي ضوء هذا الواقع المخيب للبحث السوسيولوجي في الدول العربية، فإننا نرى أن استبدال سؤال: (ما هي عوائق تشكل علم اجتماع عربي؟) بسؤال: (هل يوجد علم اجتماع عربي؟)، سوف يكون أكثر نفعًا ومنطقيةً، وسوف يتيح لنا الفرصة لكي نسلط الضوء على بعض أهم الصعوبات التي حالت دون تأسيس علم اجتماع عربي - كما نراها على الأقل-، وسوف نقسم هذه العوائق إلى مجموعتين:

-1العوائق الخارجية.

-2العوائق الداخلية.

أهم العوائق الخارجية

-1العوائق السياسية

تركز الأبحاث والنظريات الكبرى للعلوم الاجتماعية على إعادة النظر في القيم والتقاليد السائدة، أو تلك التي يرغب أصحاب القرار السياسي من الحكام وذوي الزعامات الدينية والاقتصادية والاجتماعية في فرضها كقيم مسيطرة أو قانونية. لذلك فمن الطبيعي أن تتعرض الأبحاث الاجتماعية الجريئة إلى رقابة شديدة، وإلى جميع أنواع الضغوط والقيود، في ظل جميع الأنظمة السياسية، وخاصة تلك الاستبدادية منها. وبالتالي فإن عالم الاجتماع الذي يعمل في ظل نظام شمولي- كالأنظمة الشيوعية في الفترة السوفياتية وكثير من الأنظمة في عالمنا العربي والإسلامي مثلاً- لإظهار محاسن نظام الأحزاب المتعددة ومخاطر السلطة الشخصية لن يمنح الفرصة لنشر أعماله أو الدفاع عنها. وبالعكس، فإن السلطات العامة في ظل نفوذ الطبقات ذات الامتيازات الخاصة- كما هو الحال في بعض الدول الرأسمالية مثل الولايات المتحدة ودول أوربة الغربية- لا تشجع أبدًا الأبحاث الهادفة إلى إظهار الطابع المجحف لامتيازاتها السلطوية، وتفرد القلة بالنفوذ السياسي والاقتصادي في داخل المجموعات الاجتماعية. وغالبًا ما يتطلب نشر أبحاث تتضمن اكتشافات ثورية في العلوم الاجتماعية إلى ظروف مساعدة

استثنائيًا تمامًا كي تستطيع الإفلات من رقابة السلطة. وحين كان يسعى عالم الاجتماع إلى اكتشاف كيفية تحول المجتمعات والأنظمة الاقتصادية والسياسية، وتحديد الحاجات والسلوك الإنساني فلا مفر له من طرح قضية النظام القائم، وسلطة رجال الحكم، والمجموعات المتنفذة في المجتمع، والتي غالباً ما تتحمل الوزر الأكبر في التسبب بمظاهر الفساد التي تبلى بها الدوائر الرسمية. ولا بد للباحث في العلوم الاجتماعية ليقوم بهذه المهمة الخطرة والضرورية من أن يعتمد أولاً على وعي الفاعل الاجتماعي. وكما هو الحال في الدول العربية فإن المرء يلاحظ خضوع البحث الاجتماعي عموماً لإرادة الحكومات السياسية وتوجهاتها، بل غالباً لا يوجد قدر كافي من الاستقلالية للباحث في اختيار موضوع بحثه، وعرض نتائجه بصورة موضوعية، فمعظم الباحثين في الدراسات الاجتماعية في البلدان العربية لا يعدون أن يكونوا موظفين حكوميين في الجامعات والمراكز البحثية التي تتبع للحكومة، وهم ينفذون ما يطلب منهم، وبالتالي فإن عملهم البحثي ينحصر في أحيان كثيرة في عمليات القص واللصق والترجمة الانتقائية، لتفادي الاصطدام مع السلطة القائمة، ولا شك أن دراسات اجتماعية من هذا النوع المشوه لن تفضي بأي حال من الأحوال إلى تأسيس علم اجتماع عربي.

-2الطبيعة الوصفية للعقلية البحثية العربية

إن معظم الأبحاث التي يقدمها الباحثون العرب في مختلف التخصصات تقف في أغلب الأحيان عند مرحلة الوصف دون أن تتجاوزها إلى مرحلة التفسير، فأغلب هذه الدراسات تدور في فلك السؤال: كيف حدثت الظاهرة؟ وكيف تتبدى في الطبيعة أو المجتمع؟ دون الانتقال إلى السؤال التفسيري: لماذا حدثت هذه الظاهرة؟ هذا فضلاً عن الوصول إلى سؤال التنبؤ: ماذا سيحدث في المستقبل أو كيف ستحدث الظاهرة؟

ونحن هنا لا نقلل من أهمية عملية الوصف في الدراسات العلمية بشكل عام، فكثيرًا ما يكون الوصف بمنزلة اكتشاف للظاهرة؛ لأنه عملية تعيين واختبار علاقات أكثر أو أقل عمومية بين خواص الظاهرة موضوع البحث، وهو اكتشاف؛ لأن هذه العلاقات لم تكن معروفة قبل الوصف العلمي الذي كشف عنها، لكن التفسير يتجاوز الوصف، إذ يستعين به، ويضيف إليه القوانين أو النظريات كي يحقق هدفه، فيمثل التقدم الحقيقي للعلم.

إذًا فالوصف هو أحد المراحل المنهجية المهمة لإنجاز العمل العلمي، لكن العمل

العلمي حتى يكون مثمراً لابد له أن يتجاوز مرحل الوصف إلى مرحلة التفسير، ومن ثمة إلى مرحلة التنبؤ، وإذا كانت هذه المراحل المنهجية تعكس بشكل أو بآخر التطور التاريخي للعقل العلمي البشري بشكل عام، فإننا نعتقد أن العقل العربي لا يزال يمارس العملية البحثية وفق المعايير المنهجية للعمل العلمي العربي في القرون العربية المتأخرة. حيث كانت المنهجية العلمية التي يمارسها العقل العربي تركز على المنهجية الوصفية، وقد تتوجت الجهود العلمية للعقلية العربية في القرون الوسطى بأعمال بعض الرواد الذين استطاعوا أن يلامسوا الإرهاصات الأولى للمرحلة المنهجية التفسيرية، وهو كان مع الدراسة المميزة التي قدمها المؤرخ العربي عبد الرحمن بن خلدون (1406-1322) في كتابه المعروف (المقدمة)، وكذلك الدراسة التي قدمها عالم الرياضيات المسلم غياث الدين الكاشي (1465-1436) في كتابيه: (مفتاح الحساب) و(علم الهيئة)، اللذين اشتملا على اختراعه الرياضي لنظام الكسور العشرية.

وعلى حسب علمنا لم تقدم المجتمعات العربية أي عالم بالمعنى الحقيقي لكلمة عالم منذ نهاية القرن الخامس عشر تقريبًا، وطبعًا نحن هنا نستثني العلماء العرب الذين يعملون في المؤسسات العلمية الأوروبية والأمريكية؛ لأن هؤلاء هم ثمرة التقدم العلمي في البلدان التي استقبلتهم، وفتحت لهم جامعاتها؛ ليتعلموا فيها، ومخابرها؛ ليعملوا فيها، وليسوا بأي حال من الأحوال نتاجاً للمجتمعات العربية، وبمعنى آخر نريد القول: إن العقل العلمي العربي قد جمد عند مرحلة زمانية مكانية في حركة تطور الوعي والتاريخ، وهذه المرحلة تقابل على المستوى المنهجي: المرحلة المنهجية الوصفية.

وبالتالي فإن هذه الطبيعة الوصفية للعقلية العربية تنعكس بدورها على الأبحاث الاجتماعية، بحيث نستطيع الزعم دون التورط بموقف تعميمي صارم أن معظم الأبحاث السوسيولوجية العربية تراوح في المرحلة الوصفية، ولا تستطيع تجاوزها للمرحلة التفسيرية، فضلاً عن الوصول إلى المرحلة التنبؤية، على أنه لن ننسى هنا الإشارة إلى أن نظريات علم الاجتماع - بشكل عام- تعاني من إشكالية تجاوز المرحلة الوصفية إلى المرحلة التفسيرية والمرحلة التنبؤية، فذلك يعكس أحد أهم الإشكاليات المنهجية لعلم الاجتماع خاصة، والعلوم الإنسانية عامة، وبينما تنتج هذه الصعوبة في علم الاجتماع في البلدان المتقدمة من طبيعة الظاهرة الاجتماعية المعقدة، وإشكاليات البحث في العلوم الإنسانية عامة، فإنها في حالة

الأبحاث الاجتماعية العربية - بالإضافة إلى كونها إشكالية تنتج من طبيعة الظاهرة الإنسانية، وخصوصية البحث الاجتماعي- أسلوب منهجي، تخلعه العقلية البحثية العربية سلفًا على مجرى البحث.
وبالإضافة إلى سيطرة العقلية الوصفية في الدراسات الاجتماعية العربية، كذلك يلاحظ المرء أن هذه العقلية تسيطر عليها المزاجية والعاطفية الواضحة في تناول المشاكل الاجتماعية المطروحة للمعالجة، وعدم مراعاة الحد الأدنى لشروط الدقة العلمية والموضوعية النسبية في جمع المعلومات، وتوثيقها، ومعالجتها والنتائج المتحصلة عنها. ونستطيع أن نزعم أن المعالجة العاطفية للمشاكل الاجتماعية، وضمور النزعة العقلية في البحث الاجتماعي، إنما هو انعكاس لمناهج التربية والتعليم في المدارس والجامعات العربية، وكذلك بتأثير التربية الاجتماعية التي تساهم في تكوين عقلية تقليدية، لا تمتلك الروح النقدية القادرة على تطوير العملية المعرفية، وتحريرها من قيود التبعية للموروثات في الحقل العلمي، وهذا يعكس ما يمكن تسميته بحالة الجمود والتخلف في الأدوات المنهجية للعقل العربي- العلمي.
وفي هذا السياق نختم هذه الفقرة بذكر هذا الاقتباس: "إنّ الدماغ العربي الآن في مرحلة الدماغ الانفعالى والغريزي، وهما مرحلتان من مراحل تطور الدماغ (...) فنحن نتعامل مع حياتنا في معظم المجالات تعاملاً عاطفياً غرائزياً بعيداً عن إعمال العقل فيها. نحن لسنا أمة التحليل، والبحث، والدرس. نحن أمة الحب أو الكراهية، الدفاع أو الهجوم، الإيمان أو التكفير، اليمين أو اليسار. حركة الفكر لدينا هي حركة اجترار الماضي فقط، وليس استنطاق المستقبل. نحن سجناء الماضي بقوة قاهرة عابرة للتاريخ. تراثنا فقط هو ملجأنا الوحيد ضد الأخطار التي تحدق بنا، وحين تعصف بنا العواصف، وتشتد علينا الأعاصير".

-3عائق التمويل والترجمة والنتاج العلمي

يوجد ضعف في تمويل الأبحاث العلمية بشكل عام في البلدان العربية، فقد ورد أن ما ينفقه المواطن العربي في مجال البحث العلمي لا يتعدى 4 دولارات سنويًا، في مقابل 930 دولارًا في أمريكا، و972 دولارًا في إسرائيل، و39 دولاراً في الصين و19 دولاراً في الهند، و حوالي 950 دولاراً في أوروبا، وأن ما يتم إنفاقه في 22 دولة عربية مجتمعة، على البحث العلمي لايتعدى مليار و700 مليون دولار سنويًا وهو يعادل ماتنفقه جامعة هارفارد وحدها في أمريكا.
وينصب الاهتمام بالدرجة الأولى على مشاريع البحث في مجال العلوم الطبيعية،

في حين ينظر للأبحاث في مجال العلوم الإنسانية - بشكل عام- وعلم الاجتماع - بشكل خاص- على أنها ضرب من الترف، الذي يمكن تأجيله أو ليس له مبرر، بل يوجد اليوم في العالم العربي من يطالب بإغلاق أقسام علم الاجتماع في الجامعات؛ لأنها ليس لها أي دور أو أهمية في الحياة العلمية أو الاجتماعية، على حسب زعمهم. وقد دلت إحصائيات السنوات الخمس الماضية على أنه تم نشر ما يقرب من 305 مليون ورقة بحث علمية وتكنولوجية فى جميع أنحاء العالم، كان نصيب دول الاتحاد الأوروبي منها 37%، والولايات المتحدة 34%، و آسيا الباسفيك 21%، والهند 20%، وإسرائيل 10%، بينما اكتفت أكثر من 22 دولة عربية بنشر أقل من 1% من مجموع ما نشر من أوراق. مع العلم أن عدد الجامعات العربية الحكومية والخاصة يزيد على 200 جامعة، وعدد الأساتذة يزيد على 50 ألف أستاذ، وعدد خريجي الجامعات يزيد على 10 ملايين خريج، منهم ما يزد على 700 ألف مهندس.

ونستطيع أن نضيف أيضًا إلى ضعف التمويل وانخفاض المخصصات في ميزانيات الحكومات العربية للبحث العلمي ضعف حركة الترجمة، فقد ورد في تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية لعام 2003 أن 300 مليون عربي يترجمون أقل بسبع مرات من 20 مليون يوناني، وأن العالم العربي يمثل 5 بالمئة من سكان العالم لكنه ينتج فقط 1.1 بالمئة من الكتب العلمية والثقافية بينما ينتج ثلاثة أضعاف الكتب الدينية التي ينتجها العالم ككل. وربما يكون العرب اليوم هم أقل أمة تعنى بحركة الترجمة والثقافة المتبادلة مع بقية المجتمعات.

4- العوائق الدينية

لا تزال النظرة الحذرة والمتوجسة تجاه العلوم الاجتماعية، راسخة ومسيطرة في ذهنية بعض المجتمعات العربية والإسلامية، فالمؤسسة الدينية بشكل عام تنظر بعين الريبة لكل نتاج معرفي وافد من الغرب، وعلى وجه الخصوص في مجال الفلسفة، وتقيمه من الناحية الدينية على أنه يشكل خطراً على المعتقدات الدينية والأخلاقية. والبعض من رجال الدين يكُّفرون من يعمل ويبحث في مجال الفلسفة وعلم الاجتماع، بحجة أنهم يروجون للاتجاهات اليسارية والإلحادية في المجتمع، بل إن بعض حكومات الدول العربية تمنع تدريس بعض نظريات علم الاجتماع في جامعاتها. والمفارقة المثيرة للسخرية هنا أننا شاهدنا بعض رجال الدين يشجعون قراءة أعمال عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر في نشوء الرأسمالية؛ لأنهم

يعتقدون بأن فيبر ينتصر للقيم الدينية في مقابل الفكر المادي الإلحادي، على الرغم من أن ماكس فيبر شخصيًا كان علمانيًا أو ملحدًا، كما ذكر هو ذلك مرارًا في مؤلفاته. وكذلك منهم من يستغرق في أحلامه، ليزعم أن علم الاجتماع بالكامل لا يعدو أن يكون علما إسلاميًا أسسه المؤرخ العربي ابن خلدون سابق الذكر، وإذا كانت الأمانة العلمية لتاريخ نشوء علم الاجتماع يجب ألا تبخس ابن خلدون حقه في التمهيد لتأسيس علم الاجتماع، وفي وضع تصور مبدئي لموضوعه، ومنهجه، وغايته، تحت ما أسماه "علم العمران البشري"، في مؤلفه "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" الذي يعرف اختصاراً بـ "المقدمة"، فإننا بالمقابل لا نستطيع إلا أن نؤكد الدور الرئيسي المباشر للجهود التي قدمها أوغست كونت (1798- 1857)، وكارل ماركس (1818-1883)، ودوركهايم (1858-1917)، وماكس فيبر (1864-1920)، ومن أتى بعدهم، لتأسييس علم الاجتماع، وصبغه بالشكل الذي يعرف به اليوم.

أهم العوائق الداخلية

-1**عدم امتلاك علم الاجتماع العربي لنظريات علمية اجتماعية عامة واضحة المعالم،** يكون لها أنساق معرفية متكاملة، يمكن اختبارها واقعيًا، وتكون لها قدرات تفسيرية، وقدرات تنبؤية، كما هو الحال في علم الاجتماع في الغرب، أما معظم الدراسات الاجتماعية العربية فإنها تدور في فلك الدراسات الوصفية. فالنظرية تلعب دورًا أساسيًا في تحديد موضوع العلم، والفضاء المعرفي الذي يجب أن يتحرك به مجال البحث، وبالتالي تسهم في تراكم الخبرات العلمية والمعرفية، وتطويرها في اتجاهات محددة.

-2**الفشل في تأسيس منهاج علمي خاص، يمكن تطبيقه في الدراسات الاجتماعية العربية،** ويراعي طبيعة الإشكاليات الاجتماعية العربية وخصوصيتها. ولا شك أن المنهاج، والنظرية، بالإضافة إلى الموضوع، والمفاهيم، من أهم شروط تأسيس العلم.

-3**عدم التنسيق بين الدراسات الاجتماعية العربية، وعدم توحيد المفاهيم والمصطلحات،** والاستناد إلى مدارس ومرجعيات اجتماعية وافدة من نتاج الشعوب الأخرى، الأمر الذي خلق حالة من الفوضى والتضارب بين المشتغلين في الدراسات الاجتماعية العربية، نتج عنها ضياع الجهود، وخلق حالة هدامة،

بدلاً من حالة بناءة، فقد يجتمع - على سبيل المثال- في أحد أقسام علم الاجتماع في إحدى الجامعات العربية مجموعة من الأساتذة، ينتمي كل واحد منهم لاتجاه اجتماعي مغاير أو منافس ومضارب للآخر (مثلاً: وظيفي، بنيوي، سلوكي، ماركسي، نقدي، إنشائي، توفيقي، تنظيمي، فوضوي ... إلخ)، فيسخر كل منهم طاقاته وجهوده البحثية للانتصار لمذهبه ومدرسته، التي هي بالأساس لا تنتمي للمجتمع العربي، فتكون النتيجة أن يساهم في تطوير علم الاجتماع الفرنسي أو الألماني أو الإنجليزي ... إلخ، وليس علم الاجتماع العربي!

-4**إشكالية الإطار المرجعي الفكري الفلسفي للنظرية العلمية:** فمعظم المحاولات التي قام بها بعض الباحثين العرب لتأسيس نظريات خاصة بعلم الاجتماع العربي، نراها قد اعتمدت على إطار مرجعي فكري ينتمي للفكر الفلسفي الغربي، أو الفكر الفلسفي اليساري في الفترة السوفياتية، أو وضعت في إطار تصور الباحث لما ينبغي أن يكون عليه الإطار الفكري الفلسفي العربي، وليس في ضوء ما هو عليه واقع هذا الفكر الحالي، وذلك دون مراعاة خصوصية أن تؤسس النظرية الاجتماعية في إطار مرجعية فلسفية تنتمي للمجتمع الذي يجب أن تعمل به هذه النظرية.

-5**التركيز على الجوانب النظرية والتنظيرية في البحث الاجتماعي**، وعدم القدرة أو الجدية في المضي قدمًا لاختبار واقعية البحث، وصدق افتراضاته من الناحية العملية، والكتابة والتأليف والترجمة بغاية التدريس الأكاديمي الصرف، ولغايات أيديولوجية، وتثقيفية، بدلاً من الاهتمام بتحقيق الأهداف العامة للبحث السيسولوجي، التي من شأنها محاولة فهم نشوء الظاهرة الاجتماعية، وتبديها في المجتمع، وتفسير عمليات تغيرها وتغييرها وتطورها وتطويرها، فجاءت معظم الدراسات الاجتماعية العربية في هذا السياق، أشبه بالخيال السيسولوجي أو التصور النظري المجرد، الذي يعوزه التثبت الاختباري لصحة افتراضاته.

-6**إشكالية التعميمية، والتجزيئية، كصفة ملازمة لمعظم الأبحاث السوسيولوجية العربية**، فإما أبحاث عامة سطحية تلامس الموضوعات المعالجة من الخارج دون الغوص إلى أعماق المشكلة لتحليلها وفهمها جيداً، وهذا غالبًا ما يتمثل بالنزعة المدرسية في التأليف، حتى نجد أن أستاذ علم الاجتماع العربي يمكن أن يكتب في أي شيء وفي كل شيء، دون مراعاة ضرورة التعمق في تخصص محدد. أو بالمقابل أبحاث تركز على مشكلات جزئية، ذات طابع أمبريقي، دون مراعاة

ضرورة فهم الإطار النظري العام الذي يجب أن تعالج به هذه المشكلات، فنجد هنا نزعة ذات صبغة تبسيطية تميل للتطرف في التجزيئية والتخصصية. لا شك أننا لا نستطيع بهذه الصفحات القليلة أن نستوفي دراسة جميع الصعوبات الداخلية والخارجية، التي حالت دون تأسيس علم اجتماع عربي، وأسباب عدم امتلاكه لنظريات ومفاهيم ومصطلحات خاصة به، والتي يمكنه استعمالها وتطبيقها في معالجة القضايا والإشكاليات التي تهم مجتمعه ومواطنيه. لكن نأمل على الأقل أن نكون قد قدمنا خطوة صغيرة في الاتجاه الصحيح من أجل تسليط الضوء على بعض هذه العقبات، التي بدون تجاوزها، وبدون تهيئة الأرضية المناسبة لعمل سوسيولوجي عربي جاد، لا يمكن الحديث عن علم اجتماع عربي، وعلماء اجتماع عرب، بالمعنى الحقيقي للكلمة.

انظر عبد المعطي، عبد الباسط: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة الكوتية، عدد 44، 1981، ص.186.

القزاز، إياد: "انطباعات عامة حول علم الاجتماع في العراق مابين 1950-1970 " مجلة الخليج والجزيرة العربية، أكتوبر 1978، ص.55-64. نقلاً عن المرجع السابق ص 188.

عطية، بن فاروق وبوتفنوشان، مصطفى: "علم الاجتماع في الجزائر"، بحث مقدم لمؤتمر علماء الاجتماع العرب في الكويت، أكتوبر 1977. نقلا عن المرجع السابق ص.188.

انظر عبد المعطي، 1981، ص.188-189

انظر(أقتباس مع بعض التصرف لذلك لم نضعه بين مزدوجتين) كورغانوف، فلاديمير بالتعاون مع كورغانوف، جان كلود: البحث العلمي، ترجمة يوسف وميشال أبي فاضل، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط1، 1983، ص. 110 - 111

انظر. الخولي، يمنى: فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول- الحصاد- الآفاق المستقبلية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 264، الكويت، 200، ص. 386- 381

انظر. النابلسي، شاكر: بؤس الفلسفة العربية الحديثة، مقال منشور في مجلة إيلاف الإلكترونية، 2004، ص. 4.

انظر تقرير ورد في صحيفة المدينة الإخبارية، منقول عن تقرير علمي لعام 2004 صادر عن جامعة هارفارد الأمريكية حول مخصصات ميزانية البحث

العلمي في هذه الجامعة، تاريخ نشر المقال في صحيفة المدينة الإخبارية السعودية 2009.11.02

انظر سالم الشامسي، ميثاء: مقالة بعنوان "حصاد مراكز البحث العلمي في الدول العربية، ماذا أنفقت؟ وماذا قدمت؟ وهل هناك إنجاز علمي يمكن التحدث عنه؟"، ندوة مجلة العربي: ندوة منعقدة حول الثقافة العلمية في الوطن العربي، واستشراف المستقبل، الكويت، 2005، ديسمبر، اليوم الثالث.

انظر تقرير الأمم المتحدة حول التنمية البشرية في العالم العربي لسنتي 2002 و2003 : (نقلاً عن مقدمة العفيف الأخضر ص. 1-2 في الكتاب الذي نشرته مجلة إيلاف الإلكترونية في تاريخ 16 أبريل 2004.(

من أجل مزيد من المعلومات راجع كتاب: كريب، إيان: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد 244، 1999، الطبعة الإنكليزية 1992. وكذلك لمزيد من المعلومات حول أهمية دور النظرية الاجتماعية من الناحية التفسيرية والتنبؤية يمكن مراجعة كتاب: "الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية"، القسم الأول، العلوم الاجتماعية، المجلد الأول، تأليف مجموعة كبيرة من الأساتذة المتخصصين في العلوم الإنسانية، أشهرهم: جان بياجه، ترجمة مجموعة من المترجمين السوريين، دمشق، 1976.

للاطلاع على مزيد من المعلومات حول تاريخ إشكالية المنهاج في العلوم الاجتماعية وأهميته يمكن مراجعة كتاب، مصطفى أنور، علا: التفسير في العلوم الاجتماعية، دراسة في فلسفة العلم، القاهرة، 1988. وكذلك كتاب، سالم، علي: منهجيات في علم الاجتماع المعاصر، قرءات ونصوص، بيروت، 1992. وكذلك كتاب قنصوه، صلاح: "الموضوعية في العلوم الإنسانية، عرض نقدي لمناهج البحث"، القاهرة، 1980.

يمكن أن نأخذ نموذجاً – مجرد مثال لهذه المحاولات- لإشكالية الإطار الفكري الفلسفي المرجعي للدراسات الاجتماعاعية العربية، وهو ما يتمثل في الدراسات التي قدمها كل من الدكتور طيب تيزيني بالاستناد إلى المرجعية الفلسفية الماركسية، والدكتور محمد عابد الجابري، بالاستناد إلى المرجعية الفلسفية الليبرالية – البنيوية، إذا صح التعبير.

انظر عبد المعطي، 1981، ص.163-200
انظر المرجع السابق .

المحاضرة الثالثة

ايخلف رفيقة

عنوان المحاضرة:سوسيولوجيا في الجزائر:

-لقد كانت السوسيولوجيا منذ نشأتها تسعى لدراسة العلاقات المتبادلة بين افراد المجتمع، فهو يصفها و يحللها و يفسرها و هذا من اجل اكتشاف القوانين التي تتحكم فيها و السعي بتنبؤ بها مستقبلا و من اجل ذلك احتلت السوسيولوجيا الريادة لوجها كافة الميادين لحل المشكلات التي كانت تعترض تطور هذه المجتمعات.

لقد دخلت السوسيولوجيا الى الجزائر عن طريق الكلونيالية الفرنسية بغض النظر عما اذا كانت هذه الدراسات موجهة لخدمة الاستعمار الفرنسي او لخدمة الدراسات الاكاديمية البحتة،كما تتلمذ على يد هؤلاء الباحثين الكلونياليين عدد كبير من الطلبة الجزائريين و المغاربة اللذين كانوا يدرسون علم االجتماع ضمن الفلسفة في المعهد الذي تم احداثه في جامعة الجزائر سنة1952 و هم الذين تابعو المسيرة السوسيولوجية في الجزائر وشمال افريقيا خاصة بعد الاستقلال و هذا يقودنا الى التحدث عن المرحلة الثانية من مراحل الحاسمة في التجربة السوسيولوجية و في الجزائر التي انطلقت غداة الاستقلال.

-يمكن طرح جملة من التساؤلات : هل المقاربات السوسيولوجية المستعملة اكاديميا مواءمة للواقع الجزائري بكل مشاكله و اشكالاته؟ و هل هناك تطابق بين وحدات التحليل في الدراسات السوسيولوجية في الجزائر و المقاربات النظرية المتبناة؟ و هل باستعمالنا للمقاربات السوسيولوجية نطمح الى بناء سوسيولوجيا عن الواقع الجزائري؟ام ننتهي الى ركام معرفي يصعب تحديده وفقا للقوالب

العلمية؟و هل بقيت وحدة التحليل نفسها في البحوث السوسيولوجية؟ام انها خاضعة للتغيير؟ و اذا انتقى المجتمع كمفهوم كما كان في الدراسات الكلاسيكية لأنه مفهوم افتراضي،فماذا ندرس في علم الاجتماع اذن؟

السوسيولوجية الكلونيالية:

السوسيولوجية الكلونيالية هي تلك الدراسات و الاعمال التي اجريت خلال المرحلة الاستعمارية في الجزائر و التي عملت على دراسة المجتمع الجزائري و التنقيب في بناياته الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و ذلك محاولة منها منها لفهم الميكانيزمات التي تتحكم في البنى الاجتماعية و الثقافية سواء لخدمة الايدولوجيا الكلونيالية او لخدمة البحث العلمي، اذ عملت السلطات الفرنسية على دراسة البناء الاجتماعي للشعب الجزائري و التنقيب عن مواطن القوة و مواطن الضعف في هذا البناء عن طريق جيش من العملاء و الباحثين السوسيولوجيين و الانتروبولوجيين و الضباط و الاكاديميين و ذلك بغية تفكيكه و محو مقوماته الروحية و الوطنية وزرع الافكار الهدامة بان الجيش الفرنسي لا يقهر وزرع البدع و الخرافات و انتهاج سياسة التجهيل لان الاستعمار الفرنسي كان يدرك ان الشعب الجزائري لا يمكن هزمه إلا من خلال بنائه الاجتماعي و هذا ما حصل حيث قامت السلطات الفرنسية بدراسة كل المقومات الروحية و الدينية و الوطنية و الثقافية غير انه في الحقيقة لم تكون كل الدراسات السوسيولوجية في الحقبة الكولونيالية موجهة لخدمة مصالح الاستعمار فقط بل منها من كانت دراسات سوسيولوجية اكاديمية بحتة قام بها مجموعة من الباحثين الاكاديين الذين قاموا بدراسات جادة في هذا المجال، و من بين الدراسات السوسيولوجية اكاديمية بحتة قام بها مجموعة من الباحثين الاكادميين الذين قاموا بدراسات جادة في هذا المجال و بين الدراسات السوسيولوجية ما قام به عالم الاجتماع جاك بيرك و ترك ما يزيد عن 43 مؤلف و ما يقارب 200 مقال و رغم قيامه بمهام في الادارة الكولونيالية إلا انه استطاع ان يقوم بالقطيعة مع الايديولوجية الكولونيالية.

و من العلماء الذين اصلوا لعلم الاجتماع في الجزائر نجد ماسكراي و لقد قام ماسكراي بدراسة مختلف القبائل و العروش الجزائرية من عرب و قبائل و ميزاب و ذلك بالتقرب منها و الاقامة مع سكانها كمنطقة ميزاب التي مكث فيها لأكثر من شهرين باستعمال اسلوب المخادعة بلبس لباسنهم و تكلم لغتهم و هذا ما سمح له بفهم طبيعة هذا المجتمع المتميز بالانغلاق.

و من بين الباحثين الذي اهتموا بالأولياء و الكرامات و كذلك الدراسات المونوغرافية للمدن الجزائرية نجد العقيد كورنيل تريملي و الذي يعد بمثابة مؤرخ

السوسيولوجية الكلونيالية بالجزائر و افريقيا عامة و قد قامت بدراسة حول مديتي البليدة و بوفاريك من خلال الطابع العمراني للمدينتين و طبيعة سكان المنطقة و القبائل التي ينتمون اليها و هذا خدمة للمصالح الاستيطانية.

و بهذا دخلت السوسيولوجيا الى الجزائر عن طريق الكلونيالية الفرنسية بغض النظر عما اذا كانت هذه الدراسات موجهة لخدمة الاستعمار الفرنسي او لخدمة الدراسات الاكاديمية البحتة، كما تتلمذ على يد هؤلاء الباحثين الكلونيانيليين عدد كبير من الطلبة الجزائريين و المغاربة الذين كانوا يدرسون علم الاجتماع ضمن الفلسفة في المعهد الذي تم احداثه في جامعة الجزائر سنة 1952 و هم الذين تابعو المسيرة السوسيولوجية في الجزائر و شمال افريقيا خاصة بعد الاستقلال .

-وضعية علم الاجتماع في الجزائر:

-ان الحديث عن وضعية علم الاجتماع نشير من خلالها الى نشأة علم الاجتماع بجامعة الجزائر و التي يدرس فيها علم الاجتماع كتخصص أكاديمي، و من اهم المراحل التي عرفتها مسيرة علم الاجتماع في الجزائر منذ الاستقلال الى يوما هذا:

-الفترة الممتدة كمن 1958-1963 :

تمثل مرحلة السوسيولوجيا الاستعمارية الرسمية، حيث تم تأسيس قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر سنة1958 ، و قد كان التدريس خلال هذه الفترة موجها فقط لأبناء المعمرين الفرنسيين، و من حيث البرامج فقد كانت تابعة للجامعات الفرنسية في فرنسا، و مسطرة على مقاسها كما هو الشأن بالنسبة لكل البرامج في مختلف الفروع العلمية.

-الفترة الممتدة من 1963-1971 :

ان الميزة الاساسية التي كانت تميز علم الاجتماع في هذه الفترة انه علم مازال يمارسه الفرنسيون انفسهم و ذلك لندرة المتخصصين في هذا المجال كما ان الدروس كانت تعطى باللغة الفرنسية و النظام التعليمي خلال هذه المرحلى كان كمن حيث البرامج و الغايات مرتبطة بالجامعة الفرنسية.

-الفترة الممتدة من 1971-1984 :

خلال هذه الفترة كان تسير امور المجتمع تحت سيطرة الحزب الواحد و المركزية، ما جعل المسؤولون يستعملون وظائفهم في تكريس ايديولوجية النظام، و في هذا الصدد يقول جمال معتوق: كذلك ان علم الاجتماع و المنشغلين به جندوا للدفاع عن الايديولوجية الاشتراكية اي ايديولوجية الحزب الحاكم، و عليه نجد ان علم الاجتماع تحول من علم اكاديمي علمي الى علم ايديولوجي و نفس الشيء ينطبق على الطلبة حيث كان الخطاب الرسمي ينظر اليهم بمثابة حماة الايديولوجية الاشتراكية .

-الفترة الممتدة من 1984 الى يوما هذا:

في هذه الفترة نال علم الاجتماع التهميش و التقزيم كما افرغت البرامج من الشعارات و المفاهيم ذات الصبغة ألاشتراكية و ثم الاستغناء عن المنشغلين بعلم الاجتماع،ن بحيث اصبح المسؤولون ينظرون لهذا العلم نظرة عدائية.

و لا يمكن اهمال احداث اكتوبر 1988 التي ميزت الحياة الاجتماعية و السياسية و الثقافية للبلاد، و كانت له انعكاسات على توجهات البلاد عامة و الممارسة السوسيولوجية خاصة، و ظهر التيار الايديولوجي الإسلامي و تجسدت هيمنته على مستوى البرامج في مقياس المنهجية الذي اصبح تدرس في اطاره المنهجية الاسلامية كبديل عن المنهجية الغربية و مقياس علم الاجتماع الإسلامي معرف تراجع هذا التيار مع نهاية التسعينات بعد المصالحة الوطنية.

و تقبل الجزائر منذ 2004 على تبني الاصلاح الجديد و المتمثل في نظام ل.م.د. فهل سيسمح هذا الاصلاح بإدماج الجامعة الجزائرية ضمن المستوى التعليمي العالي و تدخل في مرتبة الجامعات العالمية و تتمكن من التنافس العلمي و التكنولوجي ام ان هذه التغييرات ستبقى شكلية؟

-نماذج من الدراسات الكولونيالية:

من الدراسات التي انجزت في الميدان الديني نذكر:

-اعمال النقيب دونفو. و هذا العمل هو دراسة اثنوغرافية قام بها صاحبها بهدف جمع اكبر قسط ممكن من المعلومات حول الفرق الدينية من حيث: عدد رجالها، عدد الخيول التي تكسبها، ميزانيتها، مساحة أراضيها عدد و نوع الاسلحة التي تملكها،الطابع التنظيمي السائد بداخلها.

- وممن الدراسات التي اهتمت بالأولياء الصالحين و الكرامات و الزوايا و الاساطير نذكر اعمال العقيد تريملي .

و يعد **ريمون شارل** النموذج الذي اساء كثيرا الى الاسلام و المسلمين و من المناصرين للايديولوجية الكولونيالية و يعد كتابه الروح الاسلامية من اخطر الاعمال التي استهدفت الاسلام و المسلمين و قد عمل صاحب هذا الكتاب على نشر الاكاذيب وإلصاق كل انواع التهم للإسلام و الشريعة المحمدية.

و من العلماء الذين اصلوا لعلم الاجتماع في الجزائر نجد ماسكراي، و لقد قام ماسكراي بدراسة مختلف القبائل و العروش الجزائرية من عرب و قبائل و ميزاب و ذلك بالتقرب منها و الاقامة مع سكانها كمنطقة ميزاب التي مكث فيها اكثر من شهرين.

و كذلك السوسيولوجيا التي مورست خلال هذه الفترة ليست كلها كولونيالية ، اي سوسيولوجية رسمية تعمل على خدمة المشروع الاستعماري بل فيها ماهو عملي و يمكن ان يساهم في وضع اسس علمية لمدرسة سوسيولوجية جزائرية.

و يستحيل التفكير في مدرسة سوسيولوجية مغاربية عامة و جزائرية خاصة اذا ما اهملنا بهذا المنتوج و ذلك لعدة اسباب:

-غزارة هذه الدراسات و تنوع المواضيع المتناولة و هذا مقارنة مع ماهو موجود اليوم عندنا من دراسات فبرغم من خروج المستعمر من الجزائر و اصلاح التعليم العالي إلا ان الدراسات السوسيولوجية التي انجزت خلال هذه المرحلة ضئيلة مقارنة مع ما انجز خلال الفترة الاستعمارية.

-كذلك نوعية الدراسات مقارنة مع تبلك التي انجزت خلال التواجد الفرنسي.

-هذا بالإضافة الى الفقر السوسيولوجي اليوم عندنا حيث بالرغم من تنوع وتفاقم المشكلات إلا ان البحث السوسيولوجي مازال يرواح مكانه، لا يتعدى الدراسات المنجزة من طرف الطلبة في اطار اعداد رسائل التخرج في التدرج و ما بعد التدرج.

تكشف التطورات الحديثة في مجال سوسيولوجيا المدرسة و خاصة الدراسات التي تهتم بدراسة المدرس كتنظيم.

-: قضايا اجتماعية عربية.

ننطلق من سؤال : هل يكون الوطن العربي مجتمعا؟ ما طبيعة هذا المجتمع؟ هل الولاء الأول هو الجماعات المتنافسة أم المجتمع ككل، و ما موقع الفرد في نسيج العلاقات المتشابكة؟ و ما شان الأمة و كيف تفهم خطاب هوية القومية؟

و قد تكون المجتمع العربي بالتدريج عبر التاريخ طويل، و تحديدا منذ الفتوحات الإسلامية، في ما نسميه الوطن العربي او ما يفضل البعض خاصة في الخارج تسميته العالم العربي، و هذه الرقعة الجغرافية التي تضم حاليا 21 بلدا، و هو مجتمع شديد التنوع في بيئته و انتماءاته، و هناك عدة دراسات عربية درست المجتمع العربي من بينها:

1-الباحث المنظر سمير امين:

كان قد شدد في وصفه للنظام الاقتصادي العربي التقليدي على انه يتميز بهيمنة نمط الإنتاج الخراجي الذي يتمثل في استيلاء الدولة على فائق الإنتاج، و يرافقه اعتماد ظاهر على التجارة البعيدة المدى، و بين أهم ما توصل اليه سمير امين تشديده على اهمية التكامل الاقتصادي في تكوين الامة و المجتمع باعتبار ان التجارة بعيدة المدى عبر القارات.

2-خلدون النقيب:

اشار في مقال له حول **بناء المجتمع العربي** الى ان **اريك وولف** تحدث في بحوثه الانتروبولوجية عما أطلق عليه تسمية نمط الإنتاج القرابي، و قد ذكر أن صلة النظم القرابية هذه قد تتعدى مستوى العائلة و الجماعة المحلية إلى المستوى السياسي، و أن النوع المشيخي من نمط الإنتاج القرابي المعروف في بلدان الخليج العربي يميل الى تعبئة افراد القبيلة نحو عمل مشترك، كذلك أشار إلى وجود تفاعل مستمر بين الجماعات الرئيسية او القوى الاجتماعية الفاعلة في المجتمع العربي، و هي المدينة و القرية و البادية.

و يرى **خلدون النقيب** يظهر من ناحية اخرى ان النشاط الاقتصادي الاساسي هو تجاري حرفي أكثر منه زراعي رعوي، و يقول آن التجارة لعبت دورا مهما في تعزيز الطابع الحضري المميز للمجتمع العربي، و أنها لم تكن مقصورة على التجارة الداخلية بل تعدتها الى التجارة الخارجية البعيدة المدى، و منه نستنتج أن المركنتالية العربية الإسلامية لعبت دورا كبيرا في توحيد المجتمع العربي، و في تحقيق تجانسه الحضاري و انتظامه الايديولوجي من خلال سيادة الثقافة .

3-هشام شرابي:

يقول **هشام شرابي** أن التبعية تؤدي لا الى الحداثة بل إلى قيام المجتمع نيوبطركي ملقح بالحداثة، فتصبح عملية التحديث نوعا من الحداثة المعكوسة، و يكون التغير تغييرا مشوها، و بين أهم فرضيات كتابة البنى البطركية للمجتمع العربي أن اليقظة أو النهضة العربية في القرن 19 لم تفشل في تحطيم اشكال النظام البطركي و علاقاته الضمنية و حسب، بل أنها أيضا اتاحت بتحريكها ما سمته النهضة الحديثة.

4-د.حليم بركات:

يصف منهج حول المجتمع العربي المعاصر بأنه اجتماعي تحليلي نقدي كمن موقع عربي، فيطمح إلى أن يكون بالتالي: و إضافة إلى ذلك منهجا بنيويا مقارنا دينمائيا جدليا، ومهما تكون مفاهيمنا لهذه المصطلحات، فأنني أريد لهذه المنهج الذي ساحاله إتباعه في دراسة المجتمع العربي بشموليته أن **يستنير بالمبادىء التالية:**

-تحلل الظاهرة التي ندرسها في سياقها الاجتماعي و التاريخي، و في إطار المجتمع العربي ككل، و ليس باعتبار هذه المجتمع مجموعة كيانات سياسية قائمة بذاتها، و لذاتها و تدور مستقلة كل منها في فلكها الخاص.

-ننظر الى المجتمع على انه متغير و ليس ساكنا، انه في حالة صيرورة و تكون و ليس تكرارا مستمرا لما معنى بكلام أخر، ليس المجتمع العربي كائنا تاما مكونا، جاهزا و مخلوفا في البدء ، بل هو متطور و متحول في هويته و ثقافته و مفاهيمه و انظمته و مؤسساته حسب ظروفه و مواقيعه .

-يعتمد هذا البحث تحليل الطبقي و الربط بين السلوك و المواقع في البنى الاجتماعية، و أن سلوك الجماعات و الافراد مرتبط بمواقعها في البنية الاجتماعية و مصالحها و حاجاتها الاساسية.

-يشدد هذا البحث على التفاعلات و شبكة العلاقات المتبادلة بين الافراد و الجماعات و المؤسسات، تدرس المؤسسات العائلة و الدين و السياسة و الاقتصاد و غيرها من فصول الاقتصادية.

-تدرس المجتمع العربي على انه في حالة صراع مع نفسه و غيره و تبحث عن جذور هذا الصراع في طبيعة التناقضات السائدة، و تلك الأوضاع التي تحيل العربي الى كائن مغترب عن نفسه و مجتمعه و مؤسساته فيسعى الى تجاوز عجزه بالهرب او الخضوع و الاستسلام.

5-ابن خلدون:

يتكلم ابن خلدون على خشونة البداوة أو رفة الحضارة فالبدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم بينما الحضر هم المعتنون بحاجات الترف و الكمال في احوالهم و عوائدهم و يذهب الى ان اهل البدو اقرب الى الخير والشجاعة. و الى ان الحضارة هي نهاية العمران و خروجه الى الفساد بسبب ان تفش البدوي هي على الفطرة الأولى فيما انغمس أهل الحضر في الترف، و فضلوا الراحة، و الدعوة و لا يكتفي ابن خلدون بتصنيف انماط المعيشة و القرى الاجتماعية، من بدو و حضر، بل يقارن بين السمات التي يتميزان بها و يبحث في طبيعة العلاقات بينهما، لذلك يرى عالم الاجتماع العراقي علي الوردي ان نظرية ابن خلدون تدور في الاساس حول البداوة و الحضارة و ما يقع بينهما من صراع.

-يبدو واضحا من كتابات ابن خلدون و الفكر الاجتماعي العربي الكلاسيكي ان هناك نزوعا نحو التشديد على ازدواجية البداوة/الحضارة و اهمال الفلاحة كنمط معيشة منفرد.

و ربما جاء اهتمام ابن خلدون بالتكوينات الطبقية الاجتماعية و تشديده على علاقات التعاون ضمن الجماعة، بدلا من علاقات التناقض نتيجة لتشديده على اهمية العصبية،

6-قاسم امين:

نشر قاسم امين في عام 1899 سماه **تحرير المرأة** و ربط فيه بين دورها في المجتمع و الاصلاح اخلاف الأمة رأي في هذا الكتاب ان النظام السائد تقوم على احتقار القوي للضعيف و امتهان الرجل للمرأة، ففقدت حقوقها الضرورية لممارسة دورها في المجتمع، و قد اعتبر امين ان مركز المرأة يتحسن بالتربية التي تشمل إعدادها لكسب الرزق، بالإضافة إلى القراءة و الكتابة و العناية بتدبير شؤون المنزل، و التي أن تتمكن المرأة من اعالة نفسها تظل رهينة استبداد الرجل، و تحت رحمته فيجردها من مزاياها الإنسانية و نوه قاسم امين الاسلام عن امتهان حقوق المرأة في هذا الكتاب، معتبرا ان الشريعة ساوت المرأة بالرجل إلا في حالة تعدد الزوجات، و كان حذرا فلم يقل بمنع المرأة حقوقها السياسية، موضحا ان المرأة بحاجة الى وقت طويل من التثقيف قبل ان تصبح جديرة بالمشاركة ف الحياة العامة،

رغم ذلك أثار كتابه هذا عاصفة من التهجم و التأييد فرد على نقاده بكتاب ثاني بعنوان **المرأة الجديدة** تجاوز فيه موقفه الاول بالاعتماد على العلوم الاجتماعية بدلا من الاستعانة بالنصوص الدينية، من هذا المنطلق الجديد اصر على استقلال الانسان في التفكير و الارادة و الفعل ثم انه قفز قفزة نوعية حيث ربط بين الاضطهاد المرأة و أشكال الاضطهادات الأخرى في المجتمع فقال: **انظر إلى البلاد الشرقية تجد أن المرأة في رق الرجل و الرجل في رق الحاكم، فهو ظالم في بيته ، مظلوم اذا خرج.**

7-محسن بوعزيزي: السؤال اللساني:اللغة و الكتابة في العلوم السوسيولوجية:

إن الدافع إلى كتابة نص حول الكتابة السوسيولوجية هو معاينة مفادها أن اللغة في علم الاجتماع لم تأخذ حيزها الكافي من الاهتمام البحثي في السياق العربي، مع أن الواقع موجود في اللغة، كما رأى **كلود ليفي ستروس،** و بين في مختلف اعماله حول القرابة و الاسطورة و الطبخ ثم ان اللغة لم تطرح في العلوم الاجتماعية ال بمقدار دافعها عن الهوية و عن الاصالة .

هناك أزمة حقيقية في الكتابة السوسيولوجية هي ازمة دال في علاقته بمدلوله، و الدال هنا الواقع، أما المدلول فمعنى هذا الواقع ، كما تحمله اللغة العربية الينا المعنى في هذه الكتابة لم يعد عربيا نظرا الى سطوة النص الغربي عليه هذه حال لمن رأى الواقع و خصوصياته بعين فرنسية او امريكية او المانية فتجده يسلط عليه مفاهيم من خارج تربيته الفردية و الليبرالية و فك السحر عن العالم و المانا و الانوميا، أما من حاول التخلص نمن النزعة الأسرة للسوسيولوجيا الغربية، فقد انغلق في المفاهيم الخلدونية بعصبيتها في احسن الأحوال و منهم من يسعى إلى تطويع السوسيولوجيا لخدمة الدين .

8-دراسة مي الدباغ: النوع الاجتماعي في الوطن العربي نحو تأصيل المفهوم و استخدامه في صياغة سياسات عامة فعالة:

النوع الاجتماعي هو الخصائص الجسد الاجتماعية و النفسية و الثقافية اي ما يراه المجتمع في الأخلاقيات البيولوجية، و ما يضيعه عليها من أنماط للسلوك و الأدوار، و بالتالي فالنوع الاجتماعي هو التقسيمات و المفاهيم الموازية للأنوثة و الذكورة و الناشئة نتيجة عوامل اجتماعية و ثقافية تختلف باختلاف الشعوب و المجتمعات.

ويمثل مصطلح **النوع الاجتماعي** اداة مهمة لفهم الاختلافات بين افراد المجتمع خصوصا في ما يتعلق بالأدوار المختلفة للجنس و العلاقات اللاجتماعية بينهما و علاقات القوة و السيطرة في المجتمع.

ويقدم **النوع الاجتماعي** وسيلة للتحليل تساهم في تقديم تفسير واضح للكثير من الظواهر المجتمعية، مثل التفاعلات الاجتماعية و التسلسلات الهرمية و التقسيمات الطبقية الاجتماعية،مثلا يمكن استخدام المصطلح في تفسير ظواهر مثل الأبوية المؤسسية، و الصراعات ألاجتماعية الظواهر الظلم ألاجتماعي التوزيع غير المتساوي لمصادر القوة و السيطرة.

و يرتبط استخدام المصطلح كذلك بالتطورات التي يشهدها العالم الان نتيجة لتيارات العولمة التي جعلت من الضروري دراسة قضايا من خلال **عدة ابعاد و مستويات هي:**

-فهم اعمق للظواهر الاجتماعية.

-التحرر من القوالب النمطية.

-صياغة الاطر الفكرية لسياسات عامة أكثر فاعلية.

نجد **عبد الوهاب بوحديبة** ينادي الى علم الاجتماع عربي عامة و مغاربي خاصة ميداني علاجي و ليس مجرد علم يدرس في الجامعات بعيدا عن عملية التنمية الشاملة.

و ان الغاية من جميع البحوث التي انتجت في الساحة العربية و المغاربية بخصوص في نظر **بوحديبة** الفائدة المرجوة منها ان تتجاوز بكثير التطوير العربي للمعرفة العامة، بل اجمع علماء الاجتماع العرب على ضرورة وضعها في صميم التحرك الاجتماعي و صرنا لا نكاد نتصور عملا ما على الصعيد السياسي او الاقتصادي او الثقافي دون ان نكون قد استند الى بحوث و الى دراسات اجتماعية.

اصبحت **قضية ربط البحوث الاجتماعية العربية** بالمجتمع العربي نفسه من اعسر القضايا و اعوصها لأنها تمس بجوهر هذه البحوث من جهة، و بجوهر ذاتيتها العربية من جهة أخري من كل هذا يظهر دور علم الاجتماع داخل البلدان العربية عامة و المغاربية خاصة يتمثل في:

-المساهمة في تقديم هذا العلم عالما اي عدم ترك الاخرين و حدهم ينظرون و ينتجون المفاهيم

و النظريات بل المساهمة الفعالة من طرف علماء الاجتماع داخل البلدان العربية كغيرهم من علماء الاجتماع الاخرين.

-المساهمة المحلية و تكمن في الفهم الواعي و الموضوعي لواقعهم دون القفز عليه و جعل كل البحوث

و الدراسات المنجزة في حتمية التنمية الشاملة، بمعنى ان اي قرار سواء كان سياسيا او ثقافيا او اقتصاديا الاجتماعي لابد ان يرتكز على ما توصلت اليه هذه الدراسات السوسيولوجية و التي تعمل على المساهمة في الثورة الشاملة و المتمثلة في تفكيك البنى التقليدية المعطلة لعملية التقدم و الازدهار.

و هناك مقولة اخرى ان على **عالم الاجماع** ان لا يأخذ انفاسه و مفاهيمه من المجتمعات المتطورة اذ يجب عليه ان يخرج تصورات تتلائم مع مجتمعاتهم ، بحيث يجب على عالم الاجتماع لبلدان العالم الثالث علم الاجتماع الى نقل بسيط لمشاكل و نتائج مجتمع متطور الى مجتمع يتطلع الى التطور.

و ان **المثقف التقني** او **خبير المعرفة** كما يسميه **فيصل دراج** هو حامل وهم المعرفة الشكلية المتعالية عن المجتمع، و هذا المثقف الجديد لا يلتقي بالسلطات القائمة استثناءا الى توافق سياسي او ايديولوجي بل يلتقي بها **عبر باب جديد هو** : الاختصاص الذي يقضي الى ايديولودجيا التكتيك و التحديث لان هذا المثقف يقدم خطابه كما لو كان خطابا تنويريا جديدا بالغ التجديد فهو يستبدل زمن الايديولوجيا بزمن العلم و زمن الابداع بزمن الحداثة و زمن التأويل.

نجد دراسات **عبد الجليل الطاهر** استاذ علم الاجتماع بجامعة بغداد الذي ركز اهتمامه حول علم الاجتماع المعرفة، و الفينومولوجيا، و قد تأثر **بأستاذه غرفتش** صاحب كتاب الاطر الاجتماعية للمعرفة، و لعلم الاهتمام بهذا الجانب المعرفي يعود الي البيئة العراقية فالعراق كان موطن المعتزلة و اخوان الصفا و العديد من المدارس المتكلمين و الفلاسفة، كما ان الشخصية العراقية شخصية قلقة، و هذا ما جعل **الوردي** و **الطاهر** ينحيان منحى جديدا في علم الاجتماع الاول وظف المنهج الخلدوني في تحليل الشخصية العراقية و الثاني اراد تطبيق المنهجين: **الظاهراتي و منهج علم الاجتماع المعرفة** على دراسة ظواهر المجتمع العربي و اهم دراسات الطاهر البدو و العشائر في البلاد العربية و مسيرة

المجتمع، و المجتمع الليبي ،دراسات اجتماعية انتروبولوجية، و ترجمة كتاب **كارل منهايم.**

عبد الواحد وافي ذا نزعة دوركايمية الموسوعي المعرفة و ان القراءة في دراسات وافي تراه دوركهايمي النزعة ابن خلدون التوجه اسلامي العمق، فهو يشكل نقطة تقاطع ما بين هذين المفكريين.

توجه **الساعاتي** نحو دراسة الواقع المصري، فتناول مشاكل المجتمع المصري كجرائم الاحداث و الهجرة الريفية الى المدن و مشاكل التحضر و التفكك الاسري في المجتمع المصري، حيث دراسة العلاقة بين التغير الاجتماعي في المجتمع المصري و الجريمة كما درس اثار التصنيع في المجتمع المصري و الهجرة من الريف الى المدن و اثرها في التفكك الاجتماعي.

احمد ابو زيد تعد دراسة لموسومة ب **البناء الاجتماعي** من اهم الدراسات في هذا الميدان، و لأبي زيد اسهامات رائدة في الدراسات الانتروبولوجية العربية.

ان **الابداع و الخيال السوسيولوجي** ظاهرتان ثقافيتان ترتبطان بالبيئة الثقافية و الاجتماعية ، فالثقافات المغلقة العميقة ل تفاعل لا مع اهلها و لا مع الثقافات الأخرى و لما كانت النظريات الاجتماعية لا توجد ال داخل بيئة و ثقافة فكرية مبدعة ، العقل المبدع يبدع النظريات و النظريات بدورها تغير الثقافة، النظريات لا تظهر إلا في سياق ثقافي معين و هي تعبير عن هذه الثقافة.

سيظل وجه **ابن خلدون** راسخا و بارزا في تاريخ الفكر السوسيولوجي المغربي، لقد ارسى ابن خلدون دعائم البحث الموضوعي و التحليل العلمي لديناميكية المجتمعات و المماليك إلا ان الباحثين العرب من بعده لم يتبعوا نهجه، و سلكوا مسلك القراءة و المعيارية، و السؤال الذي يتبادر الى ذهننا في هذا السياق، هو التالي: لماذا بقي ابن خلدون وحيدا ان لم نقل فريدا في زمانه، و من دون وريث في الفكر العربي؟

تتحدد **المهمة الاساسية للسوسيولوجيا** في القيام بعمل مزدوج او بحسب تعبيره نقد مزدوج،هدم ونقد المفاهيم ذات النزعة المتمركزة حول الذات، اي الغرب او الاخر والسائد لدى السوسيولوجيين الذي تكلموا نيابة عن المغاربة و القيام في الوقت ذاته ينقد المعرفة و الخطابات التي تم بناؤها من قبل المجتمع المغربي او العربي حول ذاته.

لقد انتهج **عبد الكريم الخطيبي** نصا حول التراتيبات الاجتماعية و استخدام **عبد الله حمودي** 1977 مفهومي الدراسة المندمجة و النمو المندمج.

تعددت اللقاءات و المنشورات المتعلقة بالمرأة مع بداية الثمانينات من خلال نشاك العديد من الباحثين **امثال فاطمة المرنيسي، نعمان جسوس و بلعربي و بورقية و غرادر غلاغير**، يعود ذلك الى ارتفاع عدد الباحثات في علم الاجتماع و ايضا الى التشجيع و الدعم المالي من قبل بعض المنظمات الدولية المهتمة بقضايا المرأة و الطفل.

وجه **عبد الكريم خطيبي** بعض كتاباته الى مهمة **تفكيك سيمولوجية رولان بارت و جان بودريار** و يعتبر نصه حول الوشم في المغرب خير مثال على ذلك و بعيدا، اذا من الحقول الاشتغال و الفعل في الميدان، فتح افاقا جديدة لقد كان في تعلمه وممارسته لعلم الاجتماع يحمل معه رصيدا معرفيا تمثل بانتاجات ادبية اكثر منها سوسيولوجية.

اما **عبد الرحمن رشيق** فقد قام بتحليل الحركات الاجتماعية و التوترات العنيفة و التظاهرات و انعكاسها على سياسة المدينة و تنظيم المجال في المدن الكبرى المغربية.

ظهرت **كتابات عديدة** تتكلم عن **علم الاجتماع الاسلامي** مباشرة او ضمنيا من خلال نقد النظريات الوافدة و اخرون لم يؤلفوا و لكن مارسوا الدعوة الى هذا الاتجاه من خلال التدريس ، بالذات في البلدان التي تبترك هذا الاتجاه لذلك يمكن القول انه تيار منتشر في مساحة واسعة من ساحة الصراع الايديولوجي في الوطن العربي، و يقسم **حيدر ابراهيم علي، هذا الاتجاه الى تياريين هما:**

ا-تيار العودة الى التراث الاسلامي.

ب-تيار المشروع الحضاري العربي الجديد.

-في ما يتعلق بتيار العودة الى التراث الاسلامي فان حيد ابراهيم علي يقسمه بدوره الى اتجاهين : الاسلامي الانتقائي و الاسلامي المتجدد.

1-الاتجاه الاول:

يتميز بمحاولة وضع المشروع القديم نفسه في اكواب جديدة، و هذا يعني عدم تغيير المضمون لان المفاهيم الغربية القديمة نفسها توضع عليها عناوين جديدة

كإضافة كلمة اسلامي او مسلم اليها و لذلك يرى حيدر ابراهيم علي ان هذا الاتجاه يتسم بعدم الاصالة طالما ان الكثير من الاقلام التي تكتب الان عن علم الاجتماع و الخدمة الاجتماعية في الاسلام مثلا، كتب في فترات سابقة الكلام نفسه تحت عناوين علم الاجتماع و الاشتراكية او الخدمة الاجتماعية في المجتمع الاشتراكي بل ان بعض المؤلفين الغى فصولا من كتابات نفسها و اضاف اليها فصولا جديدة ذات طابع اسلامي .

2-**الاتجاه الثاني:**

فهو اصيل لان تكوينه الفكري و اقتناعاته اسلامية منذ البداية و لديه اتساق فكري واضح، و ينطلق من حاجة حقيقية و صادقة بضرورة الكشف عن الجوانب الايجابية في التراث الاسلامي و الاستفادة منه طالما ان هذا التراث قادر على العطاء في كل الظروف و الاوقات.

لكي **نتجاوز معيقات ظهور علم الاجتماع العربي عليه ان نقوم بالمهام التالية:**

-تنمية الوعي الاجتماعي بالعلم نفسه.

-الوعي الرسمي من قبل المسؤولين او صناع القرار.

-تنمية وعي المواطن العادي لكي يحسن بأهمية علم الاجتماع .

-اشتراك البحث الاجتماعي في جل المشكلات الاساسية في المجتمع العربي.

-تحت مصطلحات عربية تعكس متانة اللغة العربية و اناقتها و دقتها في الالفاظ و المعاني و التعابير.

-طرح مفاهيم اجتماعية تراثية معاصرة تعكس بعض جوانب الحياة الاجتماعية العربية مثل العلاقات القرابية و اجتماع المعشر و الانتحال.

-تقييم و نقد اعمال الاجتماعيين العرب نمن اجل تقويمها و تنميتها.

-التركيز على تناول المشكلات و ظواهر اجتماعية تمثل اوسع شريحة اجتماعية في المجتمع العربي مثل النمو السكاني و الحركات الاجتماعية و التنشئة الاجتماعية و الصراعات الاجتماعية و الاصلاح الاجتماعي و غيرها.